المكتبة الحديثة للأطفال

النظام سبب النجاح

وقصص أخرى

بقلم
محمد عطية الابراشي
عميد مفتشي اللغة العربية سابقاً

الطبعة الثامنة

دار المعارف

ناشر: دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسَلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّني أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهي صفوةٌ من القصص الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم.

وحِرْصًا منّي على أن أضعَ أمامهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة، في صورةٍ ملائمةٍ للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ في اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصيَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً . ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا في هذه المجموعة ألوانًا من القصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلمية ، والأدبية ، والجغرافيةِ ، والتاريخية .

إن كلَّ ما في « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ مايرَغِّبه في القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرار فيها ، فما إن يبدأ أول قصةٍ حتى يستهويه وضوحُها ، وسهولةُ لغتها ،

وجمالُ أسلوبها ، وحرصُها على المُثلِ العليا فى النواحى الخلقية والاجتماعيةِ والعاطفية ؛ فيمضىَ إلى نهايتها ، ومن هذه إلى تلك حتى ينتهى منها مشتاقًا إلى مُعاوَدَة قراءتِها .

وَقدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغة ، وجمالَ الأسلوب ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ماصَعُب ، وَوضَّحتُ بعض القصص بصورٍ واضحة ، لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظة ، وَجمالَ الذوق .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهات ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاة خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائِهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفل ، وتنمى خيالَه ، وتسمُو بروحه ، وتهذبُ وجدانه ، وتربِّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتها لذةً وسروراً يشعرُ بهما الكبارُ أنفسُهم حينَ يقرءونها .

وأرجو أن أكون بهذه « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديد فى هذا العهد السعيد ، فى جمهورية مصر العربية ، والشرق العربىّ .

أسأل الله التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمال ، إنه سميع مجيب .

محمد عطية الإبراشى

القِصَّةُ الأُولى

النِّظامُ سَببُ النَّجَاحِ

كانتْ حَسناءُ تِلميذةً صَغيرةً ، طيِّبةَ القلْبِ ، حَسَنةَ التفكيرِ ، ذَكيَّةَ العقْلِ ، سِنُّها عَشْرُ سَنَواتٍ ، يُمكنُها أَن تَقرأَ دُروسَها ، وتَفهمَهَا كلَّ الفَهمِ ، ولكنْ كانَ فيها عَيبٌ واحدٌ ، وعَيبٌ قَبيحٌ جدًّا ، لا يَنْبغى أَن يتَّصِفَ به أَحدٌ ، سَواءٌ أَكانَ صغيرًا أَم كبيرًا . هذا العَيبُ هُوَ سُوءُ النِّظامِ ؛ فَقد كانَت حَسناءُ تُضِيعُ كثيرًا مِنْ أَوقاتِها فى البَحثِ عَن أَدواتِها المبعثَرَةِ هُنا وهُناك . فإذا أَرادَت أَن تَخِيطَ فَتْقًا صَغيرًا فى ملابسِها ، بَحَثَت عنْ سَلَّةِ خِياطتِها فى مكانٍ ، وعَنِ الْخَيطِ فى مكانٍ آخَر ، وعَن الإِبْرَةِ فى حُجْرةِ النَّوْمِ ، وعَن غِطاءِ الإِصبَعِ – (الكستبان) الذى يُستعمَلُ فى الْخِيَاطةِ – فى حُجْرةِ المكْتَب ، وعَنِ المِقَصِّ فى حُجرةِ

الطَّعامِ . ولوْ وَضَعَتْ هذهِ الأَدوَاتِ كلَّها فى سَلَّتِها الصغيرةِ بنِظامٍ لاسْتراحَت ، ووَفَّرَت كثيرًا مِنَ الوَقتِ الذى أَضاعتْهُ فى البَحثِ .

وإذا أَرادتْ أَنْ تَحُلَّ تمريناً فى كُرَّاسةِ الْحِسابِ وجَدت الكُرَّاسةَ ضائعةً ، ووجَدَت الْحِبْرَ جافًّا ، وأَخَذَتْ تَبحَثُ عَن كِتَابِ الْحِسابِ فى كلِّ مكان ، وعَن القَلمِ الجديدِ والقلَمِ القديمِ فى الدُّرْجَ تَارَةً ، وفى حَقيبةِ المدرسةِ تَارَةً أُخرَى ، وأَضاعتْ فى البحث وَقْتًا كانتْ تَستطيعُ أَن تَنتفِعَ به فى أَداءِ واجباتِها ، وٱسْتِذكارِ دروسِها .

وإذا أَرادتْ أَنْ تُجيبَ عن تَمْريناتِ التطبيقِ فى اللُّغةِ العربيَّةِ أَخَذت تَبحَثُ عن كِتابِ القواعدِ فى كلِّ حُجرةٍ بِدونِ فائدة ، ووجَدتْ أَمامَها كِتاباً آخَرَ غَيْرَ كِتابِ القواعدِ .

وإذا أَرادت كتابَ الدِّينِ والتَّهذيبِ ، وَجَدَتْ

بَدَلًا مِنهُ كِتاباً مِنَ «المكتبةِ الحديثةِ للأَطفالِ» .
ولِسُوءِ نِظَامِها كانتْ تُضِيعُ نصفَ وَقْتِها فى البَحثِ عَن كُتُبِها وأَدواتِها ، وتَقضِى نِصفَ وَقْتِها فى ٱسْتِذْكارِ دُرُوسِها .
تَضايقَتْ أُمُّ حَسناءَ مِن ٱبنتِها كثيراً ؛ لِسُوءِ نِظامِها ، وقِلَّةِ عِنايتِها ، وعَدمِ دِقتِها . وكثيراً ما نَصَحتْ لها بأَنَّ العمَلَ المنظَّمَ جميلٌ ، والبيتَ المرتَّبَ يَدُلُّ على الذَّوْقِ الجميلِ . وكثيراً ما قالتْ لها أُمُّها إنَّ النِّظامَ يَجعلُ العملَ سَهْلًا ، ويؤدِّى إلى النَّجاحِ فى الحياةِ . وإنَّ سُوءَ النِّظامِ يَجْعَلُ السَّهْلَ صَعباً ، ويُضِيعُ الوَقتَ ، ويؤدِّى إلى الاضطِرابِ والتَّعَبِ والشَّقاءِ فى الحياةِ . وحاوَلتْ أَن تُعوِّدَها النِّظامَ فى وَضْعِ أَدَواتِها وكتُبِها ، ومَلابِسِها فلَمْ تَستطِعْ .

ٱضْطرَّت الأُمُّ إلى إرسالِ ٱبنتِها حَسْناءَ إلى خالتِها الكبيرةِ فى أَثناءِ العُطلَةِ الصَّيفيةِ ؛ لتَعيشَ مَعَها فى الرِّيفِ ، وتُعَوِّدَها النِّظامَ والدِّقَّةَ فى العملِ . فَقَد

عُرِفَتْ خالتُها بطِيبةِ القَلْبِ ، وحُبِّ النظامِ ، وكَراهةِ سُوءِ النِّظامِ ، وسُوءِ التَّرتيبِ ، والشِّدَّةِ والحَزْمِ فى مُعاملةِ الفَتَياتِ والفِتْيان الذين لا يَعتنُونَ بالنِّظامِ ، وَلا يَضَعونَ كُلَّ شىْءٍ فى مَوْضعِه ، وَلا يُرَتِّبونَ أَدوَاتِهِمْ فى أَماكنِها .

ذَهَبت حَسْناءُ إلى خالتِها ، ومَعَها مَلابسُها ، وبَعْضُ كُتُبِها . وجَعلَتْ لها خالتُها حُجرةً خاصَّةً بها ، فى الطَّابقِ الثَّانى مِن بيتِها ، لِتنامَ فِيها ، وتَقومَ بأَعْمالِها الَّتى تُطالبُها خالتُهَا بالْقِيَامِ بِهَا . وقَد اعْتَادَت الخالةُ أَن تُكلِّفَ حَسْناءَ عَمَلاً مِنَ الأَعْمالِ كُلَّ يَومٍ بَعدَ تَنَاوُلِ طعامِ الإِفْطارِ ، وتُجبِرَها على أَن تنتهِىَ مِنْ ذٰلكَ العَملِ قَبلَ مَوعِدِ الغَدَاءِ فى تَمَامِ السَّاعةِ الواحِدةِ بَعْدَ الظُّهرِ .

وَكانَ فى بَيتِ خالتِها حُوريَّتانِ : إِحداهُما تُسَمَّى : « سَيِّئَةَ النِّظامِ » ، والأُخرَى تُسَمَّى : « مُحِبَّةَ النِّظامِ » . وقَد سَمَحتْ خالتُها للْحُوريَّةِ

الأم تقول لابنتها : إن النظام يؤدى إلى النجاح فى الحياة

الأُولَى أَن تُعيِّنَ لِحَسناءَ كلَّ يَومٍ العملَ الذى يَجبُ أَن تَقومَ به . وكانتْ تلكَ الحُوريَّةُ – وهِيَ سَيِّئةُ النِّظامِ – تَجِدُ لَذَّةً كبيرةً ، وسُرُورًا كثيرًا ، فى مُضايَقةِ حَسْنَاءَ المِسكينةِ . وكانَ مَنظَرُ « سَيِّئةِ النِّظامِ » مُخيفاً ، فَشَعْرُها غَيْرُ مُنظَّمٍ ، وهُوَ نَازِلٌ على وَجْهِها . ومَلابسُها الَّتِى تَلبَسُها مُمزَّقةٌ ، وغَيْرُ مُرَتَّبةٍ ، تحتَاجُ إلى كثيرٍ مِنَ الإِصْلاح والنظافة والتَّرْتيبِ .

ففِى صَباحِ يوْمٍ منَ الأَيَّامِ ذَهَبَت « سَيِّئة النِّظامِ » إِلَى حَسناءَ فى حُجرَتِها ، بعدَ أَن تَنَاوَلتْ طَعامَ الإِفْطارِ ، ومعهَا حَقِيبةٌ صَغيرةٌ ، مَملوءَةٌ بخُيوطٍ حَرِيريَّةٍ مُختَلِفةِ الأَلْوانِ ، وقد اخْتلطَت الخُيوطُ ، واشْتبكَ بعضُها مَع بَعضٍ . وأَخذتْ مَعَها زَهْرةً جَمِيلةً ، هِىَ زهرةُ (الْبَانْسيه) ؛ لِتَعمَلَ مِنْ هذِه الخيوطِ زَهرةً جَميلةً مِثلَها تَماماً ، أَلوانُها كأَلْوانِ الزَّهرةِ الطَّبيعيَّةِ ،

وشَكلُها كالزَّهرةِ الحَقِيقيَّةِ . وقالت لَها : يا حَسناءُ ، إنَّ خالَتَكِ أَرْسلَتْ إلَيكِ هذِه الخيوطَ ؛ لتَعمَلى منْها زَهرةً جَميلةَ المَنظَرِ كَهٰذِه الزَّهرةِ النَّمُوذَجيَّةِ . وستَجِدين فى هذه الحَقيبةِ الصَّغيرةِ إبرةَ الشُّغلِ ، وكلَّ ما تَحتاجينَ إلَيهِ من الأَلْوانِ . وهىَ تأْمرُكِ بالانْتِهاءِ مِنها قَبلَ أَنْ تَنزِلى إلى حُجْرةِ الطَّعام ؛ لِتَناوُلِ الغَذاءِ ، فى تَمام الساعةِ الواحِدةِ بعدَ الظُّهر .

أَخَذتْ حَسناءُ الزَّهرةَ النَّموذَجيَّةَ الَّتى كُلِّفتْ أَن تَعمَلَ مِثلَها ، وأَخَذَت الحَقيبةَ التى بِها الخُيوطُ الحَريريَّةُ ، وأَخْرجَتْ ما فِيها من الخيوطِ ، فوَجدَتْها قد وُضِعتْ بغَيْرِ نِظامٍ ، واخْتَلطَت الخُيوطُ بعضُها ببعْضٍ ، فوَضَعَتها عَلَى المِنْضَدةِ ، ثمَّ شَدَّت بِصُعوبةٍ خَيطاً أَحْمَرَ ، ثم خَيطاً أَصفرَ ، ثم خيْطاً بُرْتُقالِيًّا ، ووَجَدَت صُعوبةً كَبيرةً فى إخراجِها ، ومَكثَتْ مُدةً طَويلةً حتَّى أَخرجَتهامِن الخُيوطِ المَلْفوفةِ غَيرِ المُنظَّمةِ .

وقالت لِنَفسِها : لَو وُضِع كلُّ نَوعٍ منَ الخَيطِ وَحْدَهُ فى لَفَّةٍ لَكان إخراجُه سَهلاً . بَدَأَتْ حَسناءُ تشْتغِلُ لِتَعملَ زَهرةً كَهٰذِه الزَّهرةِ ، وبَعدَ أَن اشتغلَتْ قَليلاً ، نَظرَت إلى النَّموذَج الذى وَضَعتْه أَمامَها ، فوَجدَت أَنَّها تَحتَاجُ إلى فَتْلةٍ أُخرَى منْ لَوْنٍ آخَرَ . وأَخذَت تَبحَثُ عَن الْخَيطِ الذى تريدُه بَينَ كُومَةِ الخُيوطِ المَوْضوعةِ عَلَى المِنْضَدةِ ، مُدةً طَويلةً فلمْ تجِدْ ما تحتاجُ إلَيه . ولَمْ تَسْتطِعْ أَنْ تَسِيرَ فى عَمَلِها ، واسْتمَرَّت فى البَحْثِ ، حَتَّى وَجدَت الفَتْلَة المَطلوبةَ . وقالتْ إذا كان اسْتِخراجُ فَتْلَةٍ وَاحِدَةٍ يَحْتَاجُ إلَى هذا الوَقت الطَّويلِ ، بِسَبب سُوءِ النِّظامِ ، ووَضْعِ الخُيوط بِغيرْ نِظامٍ ، فإنَّ الانتِهاءَ من عَملِ زَهرةٍ كهٰذه الزَّهرةِ يَحتاجُ إلى أَيَّامٍ بَدَلًا منْ ساعاتٍ ، ووَضَعَت الإبْرةَ عَلَى المِنضَدَةِ ، وأَخَذَت تَبْكِى بُكاءً شَديدًا ، وتَمْسَحُ دُموعَها بِمِنْدِيلِها .

لا تخافى يا حسناء ؛ فقد حضرت لأعودك النظام

وبَعدَ أَنْ بَكَت حَسناءُ مُدةً طَويلةً ، نَظرَتْ فرَأَتْ أَمامَها فى الْحُجْرةِ حُورِيَّةً صَغيرةً جَميلةً مُنظَّمةً ، مُعتَدِلةَ القَوامِ ، شَعرُها مُنَظَّمٌ مُرَتَّبٌ ، مَلابسُها منَظَّمةٌ جَميلةٌ ، وأَتَتْ نحْوَ حَسْناءَ ، فخافَتْ . فقالَت لَها الْحُورِيَّةُ : لا تَخافى يا حَسناءُ ، فإِنَّنى صَديقةٌ لِوَالِدَتِك ، وهىَ تَعرِفُنى حَقَّ المَعْرِفةِ . وقدْ سَمِعتُكِ وأَنْتِ تَبكينَ ، وعَرَفتُ أَنَّكِ طَيِّبةُ القَلبِ ، فحَضرْتُ لِأُساعِدَك فى عَملِكِ ، وَاسمِى : « مُحِبَّةُ النِّظامِ » وهذِه هىَ المَرَّةُ الأُولَى التى تَرَيْنَنى فيها . وأَرجُو أَن تَعرِفَ كلٌّ مِنَّا الأُخرَى أَكثرَ منْ ذٰلك ، وَتَتكَرَّرَ المَعرِفةُ فى المُسْتقبَل . ثم خَبطَت الْحَورِيَّةُ ، بعَصاها السِّحْريةِ الَّتى فى يَدِها ، كُومَةَ الخُيوطِ الْحَريرِيَّةِ ، ففِى الْحالِ نُظِّمَت الخُيوطُ ، وصارَ كلُّ لَوْنٍ منَ الأَلْوانِ فى ناحِيَةٍ ، ورُتِّبَت الأَلْوانُ ، وصارَت الخُيوطُ الحَمْراءُ وَحْدَها ، والزَّرْقاءُ وَحدها ، والصَّفْراءُ

فى جِهةٍ ، والذَّهَبيَّةُ فى جِهةٍ أُخرَى . وبَعدَ أَنْ نَظَّمت الْحُورِية الخُيوطَ لَها ورَتَّبَتها ، ووَضعتْها بِنظامٍ دَقيقٍ ، بعُدَت عَن الأَنْظار .

فعَجِبتْ حَسناءُ كلَّ العَجَبِ ، وحَمِدَت اللهَ ، وبَدَأَتْ تَعمَلُ الزَّهرةَ منْ هذِه الخُيوطِ ، وصارَ العَملُ الآنَ سَهْلاً سارًّا ، لا تعَبَ فيهِ ، بعدَ أَن وُضِعَ كلُّ خَيطٍ بنِظامٍ ، وأَحسَّتْ فى نفْسِها بطَرِيقةٍ عَمَليَّةٍ ، أَنَّ العمَلَ الْمُنَظَّمَ سَهلٌ ، وغَيرَ المُنَظَّمِ صَعبٌ . وقدْ أَتمَّتْ صُنعَ الزهْرةِ فى الوَقتِ المُعيَّنِ لَها ، وهوَ وَقتُ الْغَداءِ . وقدْ أُعجِبَت بِها خالَتُها ؛ لِأَنَّها انْتَهتْ منْ عَمَلِ الزهْرةِ الجَميلةِ ، وكان عَمَلُها مُتقَناً جَميلاً يَدُلُّ عَلَى الذَّوقِ الجميلِ .

وَفى اليَوْمِ التَّالى ذَهَبَت الحُوريَّةُ السَّيِّئةُ النِّظام ، الْعابِسَةُ الوَجهِ إِلى حَسناءَ ، ومَعها دَفْترٌ كَبيرٌ ، كُتِبَتْ فِيه مَصروفاتُ الأُسرةِ بخَطٍّ ضَيِّقٍ ، واخْتَلطَت

الخاناتُ فِيه بَعْضُها ببَعض ، وقالتْ لَها : إنَّ خالَتَكِ تَأْمُرُكِ بكِتابةِ قائِمةٍ منْ هذا الدَّفْترِ ، تُبيِّنِينَ فِيها ما دَفَعتْهُ لِلْمَلابسِ ، والإيجارِ ، والضَّرائبِ ، وأُجورِ الْخَدمِ ، وما أَخَذهُ الخَبَّازُ والقَصَّابُ (الجَزَّارُ) ، وصانِعُ الأَحذِيةِ ، والبَدَّالُ (البقَّال) . ويجِبُ أَنْ تَكتُبِى كلَّ نوْعٍ وَحده ، وَتَنتَهِى منَ العمَلِ قَبلَ الغَداءِ . واحْذرِى أَنْ تَترُكِى أَىَّ شَىءٍ بِدُونِ أَنْ تُثْبتِيه فى القائِمةِ ، ثمَّ وَضَعت أَمامَها الأَوْراقَ الَّتى تَكتُبُ فيها ، والأَقْلامَ الَّتى تكْتبُ بها ، وزُجاجةَ الْحِبْرِ ، وترَكَتها وَحدَها وَانْصرَفتْ .

نَظَرَت حسْنَاءُ إِلَى الدَّفترِ الكَبيرِ ، وَأَخَذتْ تُفَكِّرُ فى الْعَملِ الجديدِ ، فَوَجَدتْ نِظامهُ سَيِّئاً ، ولم تَسْتَطِعْ أَنْ تَفهمَ منهُ شيئاً ، وَأَخَذَتْ تَبكى ، وتقولُ لِنَفْسها : ماذا أَفعلُ ؟ وَمن أَينَ أَبدأُ ؟ وكيفَ أُرتِّبُ هٰذهِ الأَنْوَاعَ المختلِفَةَ؟ وكيفَ أَضعُ كلَّ شىءٍ

وحْدَهُ ؟ هلْ هُناكَ عملٌ أَصْعَبُ من هذَا الْعَملِ ؟ إنهُ يَحتاجُ إلى سَنَةٍ لِلانْتهاءِ مِنهُ ، لا إلَى ساعاتٍ محدودة. وَتَمَنَّتْ أَن تَرَى الحوريَّةَ الصَّغيرَةَ ، المحبَّةَ لِلنِّظامِ ثانيةً ، ومَعها عَصَاها السِّحريَّةُ .

وبعدَ لحظةٍ تحقَّقَت رَغْبَتُها ، ووجدَتْ أَمامَها الحوريَّةَ المُحِبَّةَ لِلنِّظامِ ، وقالتْ لها : لا تخافى يا حَسْناءُ ، إنِّى أَعرفُ ما تَرغَبِينَهُ . واسْمَحِي لِى أَن أَرَى هٰذا الدَّفْترَ . فَأَعطتها إيَّاهُ ، وأَخَذَتْ تُقَلِّبُ بَعضَ أَوْراقِهِ ، وقالَت لَها : إنَّ الحوريَّة السَّيِّئةَ النظامِ ، قد احْتالتْ عَلَيكِ ، وأَحْضَرَت إليكِ دَفْترَ الْيَوْمِيَّةِ ، وَهُو غيرُ مُنَظَّمٍ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تُحْضرَ الدَّفْترَ المنَظَّمَ لِلحِسابات . وسأَذهبُ لِأُصَحِّحَ لكِ الخَطأَ ، وأُحضِرَ لكِ الدَّفْترَ المنَظَّمَ .

ذَهَبَت الحوريَّةُ المحِبَّةُ لِلنِّظامِ ، ثمَّ رجعتْ بِسُرْعةٍ ومَعَها دَفترٌ آخَرُ . ثمَّ قدَّمتْهُ لحَسْناءَ ، فَوَجدَتْهُ

مُنَظَّمًا ، وقد كتِبَ كلُّ نوعٍ وحدَهُ بِنِظامٍ فى صفْحَةٍ ، ووجَدَت العَملَ أَمَامها سَهلاً ، ولَيْسَ بِصَعبٍ ، وشكرَت للْحُورِيَّةِ الْمُحِبَّةِ لِلنظامِ مُساعَدتَها ، ثمَّ ذهَبت الْحُورِيَّةُ لحَالِها .

أَخذَت حَسْناءُ تَنقُلُ ما صُرفَ عَلَى الخبز ، وما صُرفَ لِلبدَّالِ ، وما دُفِعَ لِلقَصَّاب (الْجَزَّار) ، وهٰكَذَا حتَّى انتَهَتْ مِن نقلِ النقُودِ الَّتى دُفعَت لِكلِّ نَوعٍ منْ أَنواعِ المصروفاتِ . وكانت حَسْناءُ ماهِرَةً فى جَمْعِ الأَعدادِ ، وفى الحسابِ . فَبعدَ مُدَّة قَصيرةٍ انتَهَتْ من عَمَلِها ، المطْلوب مِنها ، وكَتَبَتْهُ بِنظامٍ وَدِقَّة ، وأَتمَّتْ كلَّ شىءٍ فى الوقتِ المعَيَّنِ لها ، وهُوَ وقتُ الْغداءِ . وأَحَسَّتْ حَسْناءُ مِن هٰذهِ التَّجْربةِ الْعَمَلِيَّةِ أَنَّ النظامَ يجعلُ الْعملَ سَهلاً ، وسُوءَ النِّظامِ يَجعَلُهُ صعباً مُتعِباً .

وقد سُرَّتْ خالتُها سُروراً كَثيراً حِينَما رَأَت المصْرُوفاتِ الَّتى كَتَبَتْها حَسناءُ مُنَظَّمَةً مُرَتَّبَة .

وفى صَباحِ الْيومِ الثَّالثِ حَضَرت الحورِيَّةُ السيِّئةُ النظامِ ، وهِىَ مُعذِّبةُ حَسناءَ ، ومَعها صُندوقٌ كَبيرٌ ، مملوءٌ بِحُروفٍ منَ الْعَاج ، مِن كلِّ نوعٍ من أَنواعِ الحروف ، الصَّغيرَةِ والكبيرةِ ، فى أَوَّلِ الْكلِمةِ ، وَوَسَطِها وآخِرِهَا . وَقد وُضِعت الحروفُ بِغَيْرِ نِظامٍ ، واخْتَلَطَ بَعْضُها بِبَعضٍ . وقالت لها : يا حَسناءُ ، إِنَّ خالَتَكِ أَرسَلتْ إِليكِ هٰذا الموضوعَ ، وهُوَ : «حُبُّ الوطن مِنَ الإِيمانِ » وَهِىَ تَأْمُرُكِ أَن تَنْقُلِيهِ وتجمَعيهِ ، منْ هذهِ الحرُوفِ الْعاجِيَّةِ ، الموضوعَةِ فى هذا الصُّندُوقِ ، وَتَضَعِيهِ سَطرًا سطرًا عَلَى سَجَّادَةِ حُجرَتِكِ . ويجبُ أَن تَنتَهى منْ هذا الْعملِ قَبلَ أَن تَنزلِى لِتناوُلِ الْغَدَاءِ فى تمامِ الساعَةِ الواحِدَة .

ظَنَّت حَسناءُ أَوَّلَ الأَمْرِ أَنَّ هذا الْعملَ سَهلٌ جِدًّا ، ولٰكنَّها حِينَما بَدَأَتْ تجمعُ الحُروفَ لِعُنوَانِ الموْضوعِ : «حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الإِيمانِ» وَجَدَت

صُعوبَةً كَبيرَةً فى الْبحْثِ عَن الحرُوفِ الَّتى تحتاجُ إليْها . فقد وُضِعَت الحرُوفُ بِغَيْرِ نِظامٍ فى الصُّندوقِ ، فَإذا أَرادَت حَرْفَ الحاءِ اضطُرَّتْ أَنْ تَبْحَثَ عنَهُ مُدَّةً طَويلَةً ، وَوَجَدَتْ حُروفاً أُخرَى لا تَحتاجُ إليْها ، وَسَارَتْ ببُطْءٍ شَديد ، ووجَدَتْ صُعوبَةً كبيرةً فى جمعِ حُروفِ « حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الإيمانِ » ؛ لِأَنَّ الحرُوفَ غيرُ مُنَظَّمةٍ ، ولمْ تُوضَعْ بِنِظامٍ وترتيبٍ .

كانَ الموْضُوعُ طَويلًا ، والعمَلُ صَعباً ، بِسَبَب سُوءِ النِّظامِ . واعْتَقَدَتْ حَسْناءُ أَنها إذا سارتْ فى جَمْعِ الْحرُوفِ وهىَ غيرُ مُنَظَّمةٍ ، وغَيرُ مُرتَّبَة ، فمنَ المستَحيل أَنْ تَنْتهىَ مِنَ الواجبِ قَبلَ الْغَداءِ ، وربَّما مَكَثَتْ إلى مُنتَصَفِ اللَّيلِ حتَّى تجمَعَ الموضوعَ وترتِّبَهُ علَى السَّجَّادَةِ .

جَلَسَت حَسناءُ تَبْكى ، وتمنَّتْ حُضورَ الحوريةِ الشَّفيقَةِ المحبَّةِ لِلنِّظامِ ؛ لمساعدَتها فى تَنْظِيمِ الحرُوفِ وترتيبها ؛ حتَّى يَسهلَ العَمَلُ ، وتزُولَ الصُّعوبةُ .

وجدت حسناء صعوبة فى جمع الحروف لسوء نظامها

وَقدْ كانَت مُحِبَّةُ النِّظامِ قَريبَةً مِنْ حَسْناءَ تَلحَظُها طولَ الوَقتِ ، فحضَرَتْ ، ووضَعَتْ عَصاهَا السِّحريةَ فَوْقَ الحرُوفِ الَّتى فى الصُّندوقِ الكَبير ، فَفى الحالِ نُظِّمت الحرُوفُ ، ورُتِّبتْ بِكلِّ دِقَّةٍ ، فى مجموعاتٍ مُنظَّمةٍ ، ووُضِعَ الحرفُ (ا) فى مجموعةٍ ، والحرفُ (ب) فى مجموعةٍ أُخرى ، ووُضِعَ حرفُ (ج) فى صَفٍّ ، و(د) فى آخر ، وهكذا إلى نِهايَةِ الحروف الأَبجديَّةِ . ورُتِّبَ كلٌّ مِنها بِنظامٍ دَقيق . وَوُضِعَت الْحرُوفُ الَّتى فى أَوَّلِ الْكلمةِ فى صَفٍّ ، والَّتى فى الوسَطِ فى صفٍّ ثانٍ ، والَّتى فى الآخِرِ فى صفٍّ ثالِثٍ .

وَبعدَ أَن نُظِّمَت الْحُروفُ ، وَرُتِّبَتْ ، وَجَدَتْ حَسْناءُ الْعمَلَ سَهلاً ، وَأَخَذَتْ تجمَعُ الْموضُوعَ مِن حُروفِ الْعَاجِ الَّتى أَمامَها ، وانتَهتْ مِن تَرْتيبِهِ وَوَضْعِهِ عَلَى السَّجَّادَةِ قَبْلَ الْمَوْعِد الْمُحَدَّدِ لهَا بِساعَةٍ .

وَقدْ أَدرَكَت حسناءُ تَمامَ الإِدْراكِ فَوَائِدَ النِّظامِ ،

وَتَحقَّقَت أَنَّ الْعَملَ المُنظَّمَ سَهلٌ ، وَغَيرَ المنَظَّمِ صَعْبٌ ، وَبِالنِّظامِ يَسْهلُ الصَّعْبُ . وبعدَ أَن انتهت مِن جَمْعِ الْموضوع . ذَهَبتْ إِلَى خَالِتها ، وَأَحضَرَتْها لِتراهُ فَحَضرتْ ، وأُعْجِبَتْ بِهَا ، وَقبَّلتْها ، وَقَالت لَها :

« إِنِّى أَرْجو يا حَسناءُ أَن تَكونِى الآنَ قد تعلَّمتِ أَن الْعَملَ المُنَظَّمَ سَهلٌ ، والْعَملَ غيرَ المُنَظَّمِ شَاقٌّ ، وَفَهِمْتِ أَنَّ النِّظامَ يُسَهِّلُ العَملَ ، ويُساعدُ عَلَى النَّجاح فِيهِ ، وَأَنَّ سُوءَ النِّظامِ يَجْعَلُ الْعَملَ صَعباً مُتعباً . وَقد رَأَيْتِ بِنفسِكِ فى الأَعمَالِ التى قُمتِ بها أَن النِّظامَ أَكبَرُ وسيلةٍ للنَّجاحِ فى الحياةِ . وإِنِّى لَنْ أُكلِّفَكِ أَعْمالاً أُخْرَى بَعدَ اليومِ لِامْتِحانِكِ فِيها . وَيُمكنُكِ مِنَ الآنَ مُساعَدتى بعَملِكِ الْمُنَظَّم .

وفى النهايَةِ أَدْرَكَتْ حَسناءُ تَماماً فائِدَةَ النِّظامِ ، وَأَثَرَهُ ، فَبَدَأَتْ تُحِبُّ النِّظامَ ، وَتكرَهُ سُوءَ النِّظامِ ، وتَتَمسَّكُ بِكل عَمَلٍ مُنظَّمٍ ، ولا تُحِبُّ أَن تَرَى

شَيئاً غَيرَ مُنظَّم ومُرَتَّب . واجتَهَدَتْ فى إرْضاءِ خالَتِها بِعَمَلِ كُلِّ شىءٍ بنظامٍ وَعِنايةٍ وَدقَّةٍ ، وابْتَعَدَتْ عنِ الإهمالِ ، وَتَرَكَت سوءَ النظام . وصارت الآنَ مثلاً لِلنظامِ وَالتَّرتيبِ والدِّقَّةِ والإخلاصِ فى الْعَمَلِ .

أَرسَلَتْ خَالَتُها خِطابًا لِوَالدةِ حَسناءَ ، وَهنَّأَتْها بِها فى نظامِها وعملِها . وبعدَ أُسبوعَينِ مِن نَجاحِها فى حياتِها المنظَّمةِ الْجديدَةِ ، رجعتْ حسناءُ إلى بَيتِها ، وشَكرت لخالتها وللْحُورِيَّةِ « مُحِبَّةِ النِّظامِ » عِنايتَهُما بها ، ومُساعدَتَهُما لَها وَعطفَهُما عَليْها ، وتربيتهُما لَها . وَأُعجبتْ بِها أُمُّها وأَبُوها بَعدَ أَن تَعَوَّدَت النِّظامَ ، وأَهْدَيا إِلَيْها كَثيرًا مِنَ الْهَدايَا ، معَ مَجمُوعةٍ مِنَ « الْمَكتبَةِ الحديثَةِ لِلأَطفال » وَالمكتبَةِ الخَضْرَاءِ ، ومَكتبَةِ الطِّفلِ ، والمكتبَةِ الذَّهبيَّةِ من أَدَبِ الأَطفالِ ؛ لِتذْكيرِهَا بِجمال النِّظام وَالتَّرْتيبِ فى الحياة . فَالنظَامُ هوَ الحيَاةُ . بِهِ يَسْهُلُ الْعملُ ، وَيَنجحُ الإنسانُ فى حَياتِهِ .

القِصَّةُ الثَّانِيَة
الْعَدْلُ

كان هُرمُزُ بنُ كِسْرَى مَلِكُ فارسَ – عادلاً ، يأْخُذُ للْوَضيع حَقَّهُ مِن الشَّريفِ ، وللْفقيرِ حَقَّهُ مِن الغنيِّ ، حتَّى أَقامَ الحقَّ عَلَى بنِيه وأَهلِه ، وشَدَّدَ على العُظماءِ ، ومَنعَ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الضُّعفاءِ .

وقَدْ أَمَر بِوَضْعِ صُندوقٍ بجانبِ قَصرِه ، لِيَضَعَ فيه المظلومونَ شِكاياتِهِم . وكانَ يَفتَحُ الصُّندوقَ بنفسهِ ويَنْظرُ فى المظالِمِ فى الحالِ .

وممَّا يُقَالُ عَنه إنه جَعلَ خارجَ قَصرِهِ سِلسلة طويلةً ، تَنْتهِى بناقُوسٍ[1] قَريبٍ مِن مجلِسِه ، فكانَ المُتظَلِّمُ يَجيءُ مِنْ خارجِ الدَّارِ ، فيُحَرِّكُ السِّلسلةَ ، فَيَدُقُّ الجرَسُ ، فيأْمُرُ الْملِكُ بإِحْضارِه ، ويَسْمَعُ شَكْواهُ ويُنْصِفُه ، ويُعطِيهِ حَقَّه .

---

(١) جرس .

وقَد حَدَثَ أَنْ مَرَّ حِمَارٌ هَزيلٌ ضَعيفٌ بِدارِ المِلكِ ، فحكَّ رَقَبتَه بالسِّلسلةِ ، فأَمَر المِلكُ بإِحْضارِ المتَظلِّمِ . فرجَعَ الحاجِبُ وهُوَ يَقُولُ : « أَعَزَّ اللهُ المِلكَ ، لا أَحدَ بالبابِ ، ولكنَّ حِمَارًا مَسَحَ رَقَبَتَه بالسِّلسلةِ » . فقال: « أَحْضِروه » .

فلمَّا رأَى الحِمارَ ووَجَدهُ هَزيلًا ضَعيفاً قال : « أَحْضِروا صاحِبَه » .

فلمَّا حضَرَ قال لهُ المِلكُ : « لماذا لا تعلِفُ[1] حِمَارَك ، وَلا تَضعه فى إِصطبْلِه ؟ أَترْكَبُه وتُحَمِّلُه متاعَك ، ثمَّ تَترُكُه يَسيرُ جائعاً فى الطَّريقِ ؟ خُذْهُ ووَفِّه حَقَّه مِنَ الْعَلَفِ ، وَلا تُحَمِّلْه ما فَوْقَ طاقتِه » .

---

(١) تضع الطعام .

القِصَّةُ الثَّالِثَة

الفتَى الشُّجاعُ

خَرجَ نَبيهٌ فى يَوْمٍ مِن أَيَّامِ الصيْفِ إلى ظَاهِرِ الْقَرْيةِ ؛ لِيُمتِّعَ نفْسَه بمَنَاظِرِ المَزَارعِ ، ويُذْهِبَ عَنها حَرارةَ الصيْفِ . فلمَّا قارَبَ شَطَّ التُّرْعَةِ الَّتى تُرْوِى حُقُولَ الْقَرْيةِ رأَى فَريقاً مِنَ الأَوْلادِ يَلعَبُونَ ؛ يَسْبَحُونَ فى الماءِ تارَةً ، ويَخرُجونَ إلى الشاطئِ تارَةً أُخْرى ، ثمَّ يَنزِلونَ فى التُّرْعةِ ، ويَعْبُرونها من شاطئٍ إلى شاطئٍ ، سابحينَ على ظَهْرِ الماءِ ، أَوْ غائصينَ فى جَوْفِه .

ورأَى نبيهٌ بينَ هؤلاءِ الأَوْلادِ طِفلًا لَمْ تبْلُغْ سِنُّه العاشرةَ ، قَدْ أَغْواهُ أَصدقاؤُه ، وزَيَّنُوا لهُ أَنْ يَعْمَلَ مِثلَ عَملِهم ؛ وَما زَالوا به حتَّى شَارَكَهُمْ وهُوَ لا يُحْسِنُ السِّباحةَ ، فانْتحَى نَاحيةً معَ رَفيقٍ لهُ حاوَلَ

تعليمَه ، فَزَجَّ به فى الماءِ ليُحَاوِلَ العُبُورَ إلى الشاطئِ الآخَرِ ، فلمَّا صارَ فى وَسَطِ الترْعةِ خانتْهُ يَدَاهُ ، فسقَطَ فى جَوْفِ الماءِ ، ثمَّ ٱسْتَجْمَعَ قُوَّتَه ليَدْفَعَ عن نفْسِه الموْتَ ، فَطفَا ، ثمَّ عادَ فَرَسَب .

ومكَث مُدَّةً على هذهِ الصورةِ ، يَظْهَرُ وَجْهُه فوقَ سَطحِ الماءِ ثمَّ يَعودُ فيختفِى ، وقَدْ حَملَهُ تيَّارُ الماءِ مَسافةً طويلةً ، فاسْتغاثَ رَفيقُه ، وصَرخَ بأَعْلَى صَوْتِه يَطْلُبُ المعُونةَ لإنقَاذِه ، فأَسْرَع إلى إجابةِ طَلبِه فتًى مِنْ أَبْنَاءِ الزُّرَّاعِ كان سائرًا على الشاطئِ إلى حَقْلِهِ ، فأَلْقَى نفْسَه خَلْفَ الصبىِّ ، وٱندفَعَ وراءَهُ ، يَدْفَعُ الماءَ بذراعٍ قويَّةٍ ، وَعَزْمةٍ صادقةٍ ، حتى أَنقذَهُ مِنَ الغَرَقِ ، وحَمَلَهُ على صَدرِه إلى الساحِلِ وقَدْ أُغمىَ عليْه . وبَقىَ على هذه الحالِ مُدَّةً ثمَّ أَفاقَ .

فَتقدَّمَ نبيهٌ إلى ذلك الفتَى الشُّجَاعِ شاكِرًا لهُ مُرُوءَتَه ، مُثْنِياً على شهامتِه ، فقابلَ هذا الشُّكْرَ

بابْتسامةٍ تَدُلُّ عَلَى كَرَمِ عُنصُرِه ، وشَرَفِ نفْسه ، وقالَ فى غيرِ تكلُّفٍ وَلا رياءٍ : « إنِّى لَأَجِدُ فى إنْقاذِ هذا الطِّفْلِ ، وإعادةِ الطُّمأْنينةِ إلى قَلْبِ وَالدَيْه وأُسْرَتِه بِرُجُوعِه إليْهِمْ سالِماً - مَعْنًى أَبْلَغَ منْ مَعانِى . الشُّكْرِ ، وغايةً أَسْمى من غاياتِ الْحَمْدِ » .

فأَكْبرَ نبيهٌ شهامتَه ، وحَمِدَ مُرُوءَتَه ، ودَعا اللهَ أَنْ يَجْزِيَهُ عن عَمَلِه الْجَزَاءَ الأَوْفَى .

القصَّة الرابعة
الثُّعبانُ والأَخَوَان

من قِصَصِ العَرَبِ أَنَّ أَخَوَيْنِ كانَا يَرْعَيَان جِمالَهُما ،فأَجْدبَتْ أَرْضُهما ، ولَمْ تُنْتِجْ شَيئًا . وكان بالْقُرْبِ منهُما وادٍ خِصْبٌ ، فيه ثُعْبانٌ يَحْرُسُه. فقالَ أَحدُهما للآخَر : «سَأَذْهب إِلى هذا الوادِى فأَرْعَى فيه جِمالِى » .

قالَ أَخُوهُ : «أَخافُ عليْكَ الثُّعبانَ ؛ فمَا ذَهَبَ إِلَى هذا الوادِى أَحدٌ إِلَّا قتَلَه » . قالَ : «واللهِ لأَفْعَلَنَّ ». فهبَطَ الوادِىَ ، ورَعَى به زَمانًا ، ثمَّ عَضَّه الثُّعبانُ فَقَتَلَه .

فَقالَ أَخُوهُ : «ما فى الحياةِ خَيْرٌ بَعدَ أَخِى ، واللهِ لأَقتُلَنَّ الثُّعبانَ أَوْ لأَمُوتَنَّ كما ماتَ » .

فلمَّا نَزَلَ بالوادِى قالَ لهُ الثُّعبانُ: «هلْ لكَ فى

أَنْ نَصْطَلِحَ ، وأَترُكَكَ تَرْعَى بهذا الوادِى ، وأُعْطِيَكَ كلَّ يَوْم دِينارًا ؟ » .

قالَ : « أُصَالِحُك » ، وحَلَفَ لهُ ، وأَعْطاهُ العَهْدَ أَلَّا يَضُرَّه . وأَخَذَ الثعبانُ يُعطِيه كلَّ يَوْمٍ دِينارًا ، حتى كَثُرَ مالُه . ثمَّ تَذكَّرَ أَخاهُ وقالَ : « كيْفَ يَنفعُنِي المالُ وأَنَا أَنظُرُ إلى قاتِلِ أَخِي ؟ » فأَخَذ فأْساً وقَعَدَ عِندَ جُحْرِ الثُّعبانِ . فلَمَّا مَرَّ به ضَرَبَه فأَخْطَأَهُ ، ودَخَلَ الثُّعبانُ الْجُحْرَ ، ووَقَعَتِ الْفأْسُ على الْجُحْرِ فأَثَّرَتْ فيه .

ولَمَّا رأَى الثعبانُ غَدْرَ الرَّجُلِ قَطَعَ عَنهُ الدِّينارَ ، وخافَ هُوَ شَرَّهُ ونَدِمَ . فَقالَ لهُ ذاتَ يَوْمٍ : « هلْ لكَ فى أَن نَصْطلِحَ ونَتعاهدَ ونَعُودَ إلى ما كُنَّا عَليْه ؟ »

قال الثعبانُ : « أَنتَ لا تصفُو لِى ما دمْتَ ترى قَبْرَ أَخِيكَ ، وأَنَا لا أَصْفُو لكَ ما دُمْتُ أَرَى أَثرَ فأْسِكَ » .

القِصَّةُ الخامِسَة

ٱبنُ رَبِيعةَ وَالسَّبُعُ

قيل إنَّ جَحْدَرَ بنَ رَبيعة كان بَطَلاً شُجاعاً فاتِكاً ، شاعِرًا بَليغاً ، فَغَزا أَهلَ اليمامة وأَوْقَعَ بهم . فبلَغَ ذلك الحجَّاجَ بنَ يوسُفَ ، فكَتَبَ إلى حاكِمِ اليَمامَةِ يُوَبِّخُه على تغلُّبِ جَحدَرٍ ، ويأْمُرُهُ بالتَّوَجُّهِ إليْه ليَقْتُلَه ، أَوْ يَحْمِلَه إليْه أَسِيرًا .

فوَجَّه الحاكِمُ إليْه فِتْيةً من بَنى حَنظَلةَ ، وجَعلَ لهمُ المكافآتِ العظيمةَ إنْ هُم قتَلوا جَحدَرًا ، أَوْ أَتَوْا به أَسيرًا .

فخرجَ الفِتْيةُ فى طَلَبِه ، فلَمَّا قَرُبُوا من مكانِه أَرْسَلوا إليْه يَقولون : إنهم يُريدونَ التَّفَرغَ لَه ، والقِيامَ بِخِدْمتِه ، فوَثِقَ بذلك مِنهم ، وسَكَنَ إلى قَوْلِهم .

فبينما هو مَعَهُم يَوْماً إذْ وثَبوا عَليْه ، فَشَدُّوا وَثاقَه ،

وقَدِموا به على حاكِمِ اليَمامَةِ ، فوجَّهَهُ مَعهُم إلى الْحَجَّاج ، فلمَّا قَدموا به عليْه وَقَفَ بيْنَ يَدَيه . فقال لهُ : « أَأَنْتَ جَحدَرٌ ؟ » قال : « نَعَمْ ! أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ » .

قال : « ما الَّذى جَرَّأَكَ على ما بَلغَنى عَنْكَ ؟ »

قال : « أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ! شِدَّةُ الزَّمانِ ، وجَفْوَةُ السُّلْطانِ ، وجَراءَةُ الشُّبَّانِ » .

قال : « وما بَلَغَ مِنْ أَمْرِك ؟ »

قال : « لَو اختَبَرنى الأَميرُ وجَعلَنى مع الْفُرْسانِ ـ لرَأَى مِنِّى ما يُعْجِبُه » .

فَتعَجَّب الحجَّاجُ من ثَبَاتِ عَقْلِه ومَنطِقِه ، ثمَّ قَال : « يا جَحدَرُ ! إنِّى سَأَرميكَ فى حَفائرَ بها أَسَدٌ عَظيمٌ ؛ فإنْ قَتَلكَ كَفانَا مَئُونتَكَ ، وإنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا عَنْكَ » .

قال : « أَصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ، قَرُبَ الفَرَجُ إن شاءَ اللهُ تَعَالى » .

فأَمَرَ به فَقَيَّدوهُ بالحديدِ ، ثمَّ كَتَبَ لِحاكِمِ اليَمامَةِ أَنْ يَصطادَ لهُ أَسدًا عظيماً ، ويَحْمِلَه إِلَيه . فَاصْطادَ لهُ الحاكِمُ أَسَدًا كَريهَ الْمَنظَرِ ، كاشِرًا خَبيثًا ، وأَمَرَ بأَنْ يُسَيَّرَ إِليْه فى قَفَصٍ من حَديدٍ ، ويُسْحَبُ القَفَصُ على عجَلٍ .

فلَمَّا قَدِمَ به على الحَجَّاج أَمَر به فأُلْقِيَ فى الحفائرِ ، ولم يُطْعَمْ شَيئًا ثلاثةَ أَيَّامٍ ، حتى جاعَ وَصَارَ مُتَوَحِّشاً . ثمَّ أَمَر بجَحْدَرٍ أَن يُنْزَلَ إِليْه ، فأُعْطِيَ سَيفاً ، ثمَّ أُنزِلَ إِليْه مُقيَّدًا ، وأَشرَفَ الْحَجَّاجُ عَليْه ، والنَّاسُ حَوْلَه يَنْظرونَ إِلى الأَسَدِ ؛ ما هو صانعٌ بجَحْدر .

فلَمَّا نَظرَ الأَسدُ إِلى جَحدَر نهَضَ ، ووَثَبَ وتمطَّى ، وزَأَرَ زَئيرًا دَوَّتْ منْهُ الْجِبالُ ، وخافَت منْهُ النَّاسُ . فَشَدَّ عَليْه جَحدَرٌ ، ثمَّ قَرُبَ منْهُ ، وضَرَبهُ بسيْفِه ، ففلَق رَأْسَهُ . فكَبَّر النَّاسُ ،

وأُعْجِبَ الحَجَّاجُ بِهِ ، وقال : «إِنِّى مُعْجَبٌ بِكَ ! ما أَشْجَعَكَ ! !»

ثمَّ أَمرَ به فأُخْرِجَ من الحفائرِ ، وفَكَّ وَثَاقَه وَقَيْدَه ، وقال لهُ : ٱخْتَرْ : إِمَّا أَنْ تُقيمَ عِنْدَنَا فنُكْرِمَك ، ونُقرِّبَ مَنزِلتَك ، وإِمَّا أَن نـأْذَنَ لكَ فتَلحقَ ببلادِك ، ونَشرِطَ عليك أَلَّا تُحدِثَ مُنكَرًا ، ولاتؤذِيَ أَحدًا .

قال : بل أَختارُ صُحبتَك أَيُّها الأَميرُ ، فجعَله مِمَّنْ يَجْلِسُونَ مَعَهُ ، ثمَّ لم يَلبَثْ أَن وَلَّاهُ على اليمامةِ.

القِصَّة السَّادِسَة

كَيفَ نَجَا الْجُندِيُّ مِن الموتِ ؟

فى الحرْبِ الْعالميَّةِ الأُولى ـ الَّتى وقعتْ بينَ سَنةِ ١٩١٤ وسنةِ ١٩١٨م ـ كانَ الجنودُ المحاربونَ يَعيشونَ فى خَنادقَ ؛ وهىَ حُفَرٌ تُحْفَرُ فى الأَرضِ حَولَ المُدُنِ ليُقِيمَ فيها الجنُودُ ، ويأْكُلوا ويَناموا ، ويُحَاربوا لِكَىْ لا يَراهُم الأَعداءُ الذينَ يُحارِبونهُم . وقدْ كانَ من الْخَطر أَن يَعيشَ الجنودُ فوقَ الأَرض ؛ لأَنَّ العَدُوَّ يُمكِنهُ أَن يراهُم إذا بَقُوا ظاهرينَ عَلَى الأَرضِ .

وَفى يومٍ من الأَيامِ وجَدَ أَحدُ الجنودِ قِطَّةً ، فأَخَذها معهُ إلى الخندَقِ الذى يَعيشُ فيه . وأَحبَّ القِطَّةَ كثيرًا ، واعْتَنى بها عِنايةً كبيرةً ، وَاسْتمرَّ يُطْعمُها من طَعامِه ، ويسقِيها من الماءِ الذى يشربُهُ . فأَحَبَّتْهُ القِطَّة حُبًّا كثيرًا ، واعتادَت أَن

تَخرُجَ معهُ إذا خَرجَ ، وترجِعَ معهُ إذا رجَعَ ، وتَمشىَ وراءَهُ فى كلِّ مكانٍ يذهبُ إليه .

وفى لَيلةٍ من اللَّيالى خَرجَ الجندىُّ صَديقُ القطَّة ، لِيَتَجَسَّس على العَدُوِّ ، ويَعرِفَ المكانَ الذى يُقيمُ فيهِ جُنودُ الأَعداءِ . وبعدَ أَن خَرجَ منَ الخندقِ الذى يَعيشُ فيهِ أَخَذَ يزحَفُ على يَدَيهِ ورُكْبَتَيْهِ ، ومَشَى إلى الجهة التى ينزِلُ بها الأَعداءُ . فَذَهبت القطَّةُ معهُ ، ومَشَت وراءَهُ فى الظَّلام ، حتَّى عَرَف مَواقعَ الأَعداءِ ، ورأَى جُنودَهُم يحفرونَ بعضَ الْخنادقِ ؛ لِيَحتَموا بها وَقتَ القِتالِ ، ويُخْفُوا أَنْفُسَهُم فيها .

فأَخفَى الجندىُّ صَديقُ القِطَّة نفسَهُ فى جُحرٍ تحتَ الأَرضِ بينَ الْحِجارةِ ، ورَسَم الخنادقَ التى يَحفِرونها ، وعَرَف المكانَ الذى سيُحاربونَ منهُ ، والْخطَّة التى سَيقُومونَ بِتنفيذها .

وفى الوقتِ الذى كانَ الجندىُّ يرسُم فيه خَنادِقَ

العَدُوِّ ، والمكانَ الذى يُقيمونَ فيهِ ، وَقعَ حَجَرٌ منَ الجُحرِ الذى يُخْفى فيهِ الجندىُّ نَفسهُ ، فأَحدثَ الحجَرُ صَوتاً وضوْضاء ، فسمِعَ جُنودُ الأَعداءِ صَوتَ الحجَرِ الذى وَقعَ ، فأَتى ثلاثةٌ منهُم جِهةَ الصَّوتِ ليَرَوْا مَنِ الذى أَحدَثهُ .

وسأَلَ أَحدُهم من بُعدٍ بصوتٍ مُرتفِعٍ : مَن المستَخفِى هُناك ؟

وفى تلكَ اللَّحظةِ عَطَست قِطَّةُ الجندىِّ ، وخَرجَت من الجُحْرِ ، فَرَآها الجنودُ الثَّلاثةُ ، وضَحكُوا كثيرًا حينما رأَوْها ، واعتقَدوا أَنَّها هىَ الَّتى أَحدَثت الصَّوتَ ، فَرَجعوا إلى المكانِ الذى أَتَوْا منهُ ليُكمِّلُوا حَفرَ الخنادقِ التى كانوا يحفِرونها . ولم يَرَوُا الجندىَّ المستَخفِىَ فى الجُحْرِ .

و بَعدَ أَنْ رجَعوا إلى مكانِهِم أَكملَ الجندىُّ صاحِبُ القطَّة الرَّسمَ الذى كانَ يرسُمُه لمعْرِفةِ مَوْقِع

الأَعداءِ ، ثـمَّ رجَعَ وهُوَ يزحَفُ عَلَى يَدَيه ورُكبتيْه ، خوفاً من أَنْ يَراهُ العَدُوُّ .

واستمَرَّ يزحَفُ ومَعهُ قِطَّتُه حتَّى وَصَلَ إِلى أَصدِقائِهِ من الجنودِ سالماً. وأَخبَرهُم بما حَدثَ ، وأُعجِبُوا بالقطَّةِ التى أَنقَذَت حَياتَه ، ونجَّتْهُ منَ الموتِ .

القِصَّة السّابعَة

فى الْكَرَمِ الْعَرَبى

خَرجَ الحَسنُ والْحُسينُ وعَبدُ اللهِ بْنُ جَعفرٍ قاصِدينَ الْحَجَّ ، فجاعُوا وَعَطِشوا فى الطَّريقِ ، فمرُّوا بسيِّدةٍ عجوزٍ وهىَ فى خَيْمتِها ، فسأَلُوها : هَل عِندكِ شىءٌ نشربُهُ؟

فأَجابتْ : نَعمْ ، فنَزَلوا وجَلسوا ، ولم يَكُنْ عِندها إِلَّا نَعجةٌ صَغيرةٌ بجانبِ الْخَيْمةِ . فقالت لهُمْ : اُحْلُبوها ، واشْرَبوا لبَنَها . فحلَبُوها ، وشَربوا لبَنَها ، ثمَّ قالوا لها : هَل عِندكِ شىءٌ منَ الطَّعامِ لنأْكُلَهُ ؟

فأَجابتْ : ليْسَ عِندى إِلَّا هٰذهِ النَّعجةُ . فلْيذْبحْها وَاحدٌ منْكُمْ ، حتَّى أُجَهِّزَ لكُمْ ما تَأْكلون.

فقامَ إِليْها أَحَدُهم ، وذَبحَها ، وسلَخَها ، ثم جَهَّزتْ لهم الطَّعام ، فأَكَلوا حتَّى شَبِعوا ، وشَكَرُوا لها

مَعرُوفها وكَرَمها ، ثمَّ وَدَّعُوها وَقالوا لها : إنَّنا من قُريشٍ ، ونحنُ مُسافِرُونَ للحَجِّ ، فإذا رجَعْنا سالمينَ ، فَتعالَىْ إليْنا بالمَدِينةِ كىْ نَرُدَّ لكِ الجميلَ . ثمَّ سافَرُوا ، وأَتى زَوْجُها ، فأَخْبَرَتْهُ بمَا حَدَث ، فغَضِبَ الزَّوْجُ ؛ لأَنَّها ذَبحت النَّعْجَةَ الوَحِيدَةَ الَّتى يمْلِكُها ، لقَوْمٍ لا تَعْرِفهُمْ هىَ ، ولا يَعرِفُهم زَوجُها .

وبعْدَ مُدَّةٍ اشتَدَّ بِهما الفَقْرُ ، فَذَهبَا إلى المدينةِ ، ودَخَلاها ، وعاشا كما يعيشُ الفُقَرَاءُ فيها .

وذَاتَ يومٍ كانت الْعجوزُ سائرَةً فى طريقٍ من طُرُقِ المدينَة ، وكانَ الْحَسنُ بْنُ علِىٍّ جالساً على بابِ دَارِه ، فعَرَف الْعَجوزَ ، ولم تَعْرِفْهُ ، فأَرسَلَ خادماً من خَدَمِه ، فَدَعاها ، وسَأَلها الْحسنُ :

هَلْ تَعرِفينَنى أَيَّتُها السيِّدَةُ ؟

فأَجابتْ : لَا ، فَقالَ الحسَنُ : أَنا كنْتُ ضَيْفاً عِندكِ يومَ كذا وكذا .

فقالت الْعجوزُ : نَعمْ ، كنتَ ضَيفى فى ذٰلكَ اليوْم . ثمَّ أَمَرَ الحسنُ ، فاشْتَرَوْا لها أَلْفَ نَعْجةٍ ، وأَمرَ بإِعْطائِها أَلْفَ دينارٍ ، ثمَّ أَرسَلها معَ خادِمِه إِلىٰ أَخِيهِ الْحُسين . فقالَ لهَا الحسيْنُ : ماذَا أَعْطاكِ أَخِى الحسنُ ؟

فأَجابتْ : أَعطانى أَلفَ نعْجَةٍ ، وأَلْفَ دينَارٍ .

فأَمَرَ لها الْحُسينُ أَيضاً بأَلْف نعْجَة ، وأَلْفِ دينارٍ ، ثمَّ أَرسَلها معَ خادمِهِ إِلى عبدِ اللهِ بنِ جَعفر . فسأَلها : ماذا أَعْطاكِ الحسنُ والْحُسينُ ؟

فأَجابتْ : قَدْ أَعْطيَانى أَلْفَىْ نعجَةٍ ، وأَلْفَىْ دينارٍ .

فأَمرَ لها عبدُ اللهِ بنُ جَعفرَ بأَلْفَىْ نعْجَةٍ ، وأَلْفَىْ دينارٍ . وقال لها : لوْ بَدَأتِ بى لأَتْعبتُهُما .

فَرَجعت الْعَجوزُ إِلى زَوجِها بأَربعةِ آلافِ نَعجةٍ ، وأَربعةِ آلاف دينار .

القصَّة الثَّامنة

الرَّجُلُ الخائِنُ

أَرادَ أَحدُ التُّجَّارِ الأَغْنِياءِ أَنْ يَحُجَّ ، فذَهبَ إِلى أَحَدِ أَصحابِه ، واسْتَوْدعَه صُرَّةً كَبيرةً مَمْلوءَةً ذَهباً وفضَّةً ، وطَلبَ منْه أَنْ يَحفظَها عِنَده حَتى يَعُودَ مِنْ حجِّه .

وَلمَّا أَدَّى التَّاجِرُ فَرِيضة الحَجِّ ذَهب إِلى صاحِبِه يَطلُبُ وَدِيعتَه ، فأَنْكرَها ، وادَّعَى أَنَّه لا يَذْكرُ تِلكَ الصُّرَّة .

حَزِنَ التَّاجرُ لِخِيَانةِ صاحبِه ، وذَهبَ إِلى أَحَدِ أَصدقائِه يَشْكو إِلَيْه أَمْرَه . فقال لَهُ ذلكَ الصديقُ : « لا تَحزَنْ يا أَخِي ! وسأَحْتالُ فى رَدِّ وَدِيعتِكَ إِلَيكَ . فتَعالَ إِلى منْزِلِهِ عَصرَ هذا اليَوْمِ ، وطالِبْهُ برَدِّها ، وسأَكونُ عِندَه حينَ حُضورِكَ » .

ذَهب الصَّديقُ إِلَى مَنزِلِ الرجُلِ الخائنِ ، ومعَه كثيرٌ من الحُلِيِّ والجَواهِرِ ، وأَوْهَمه أَنهُ سيُسافِرُ غَدًا إِلى بَلْدَةٍ بَعيدةٍ لِزِيارةِ قَريبٍ منْ أَقارِبِه ، وأَنَّه سيَتْرُكُ هذه الجَواهر والحُلِيَّ النَّفيسةَ حتى يَعودَ . فطمِع الرجُلُ فى هذِه الجَواهرِ والحُلِيِّ ، وأَيْقنَ أَنهُ سيَظْفَرُ بِها .

وبَينَما هُما يَتحدَّثانِ إِذْ أَقْبلَ التَّاجرُ صاحبُ الوَديعةِ ، وطالبَ الرجُلَ بِوَديعتِه ، فقام صاحبُ المنْزِلِ وأَحْضرَ الصُّرَّةَ ، وسلَّمَهَا إِلَيهِ ؛ خَوفاً مِن أَنْ يَشُكَّ الزَّائرُ فى أَمانَتِه .

وعِنْدَئذٍ قَام التَّاجرُ وصَديقُه يَحملانِ أَمْوالَهُما ، فأَدْرَك الرجُلُ الحِيلةَ ، وخَجِلَ مِنهُمَا . ولمَّا خَرجا منْ عِندِه أَعْلَنا لِلنَّاسِ أَمْرَه ، فساءَتْ حالُه ، ولم يَعُدْ أَحَدٌ يَسْتأْمِنُه بعْدَ ذلك .

القصَّة التَّاسعة

فَصاحةُ غُلامٍ عَربيٍّ

صارَت البادِيَةُ فى جُوعٍ شَديد أيَّام هِشام بنِ عبدِ الملِك ، فَجاءَ إلَيه رُءُوسُ القَبائل ، فجلَس لَهم . وكان بينهُم صبِىٌّ سِنُّه أَرْبَعَ عَشَرَةَ سنةً ، يُسمَّى « دِرْواس بنَ حَبيبٍ » ، فاستَصْغرهُ ، هِشامٌ ، وقال لِحاجِبِه « ما يَشاءُ أَحَدٌ أَن يَصِل إلَيْنا إلَّا وصلَ ، حتَّى الصِّبْيان ! ! »

فقال دِرواسُ : « يا أَميرَ المؤْمنين ! إنَّ دُخولِى لم يُخِلَّ بكَ ولا انْتَقصكَ ، ولَكنَّه شرفَنى ، وإنَّ هؤلاءِ قَدِموا لأَمرٍ فهَابُوكَ وَلَم يَذكُروا لَكَ شَيئاً ، وإنَّ الكلامَ يُوَضِّحُ الحالَ ، والسُّكوتَ يُخفِى الحقِيقةَ ، ولايُعرَفُ الأَمرُ إلَّا بنَشْرِه » .

فأعجَبه كلامه وقال : « قُلْ ما تريدُ ، ولاَ لَوْمَ علَيكَ » .

فقال : « إنَّا أَصابَتْنَا سِنونَ ثَلاثٌ ؛ فسنةٌ أَكلَت اللَّحم ، وسنةٌ أَذابَت الدُّهنَ ، وسنةٌ لَجأَت إلى العظم . وفى أَيْديكم فُضولُ أَموال ؛ فإنْ كانتْ للهِ عزَّ وَجلَّ ففرِّقوهَا على عِبادِه ، وإنْ كانت لَهُم فَلاَ تَحرمُوهُم إيَّاهَا ، وإن كانتْ لكم فَتصدَّقوا بهَا عَليهِم ، إنَّ اللهَ يجزِى المُتَصدِّقين . وإنَّ الوالِىَ من الرَّعِيَّةِ كالرُّوحِ من الْجسَدِ ، لا حَياةَ لَه إلَّا بِه » .

فقال هِشامٌ : « ما تَرَكَ الغلامُ فى واحدةٍ من الثَّلاثِ عُذراً » . وأَمَر بِمِائةِ أَلْفِ دينَارٍ ففُرِّقت فى أَهل البادِيَةِ ، وأَمر لهُ بِمِائةِ أَلْفِ دِرهمٍ .

فقال : « يا أَمير المؤْمنين ! اِجعَلْهَا فى جائزةِ العرَبِ ؛ فمَالى حاجَةٌ فى خاصَّةِ نفْسِى دُونَ عامَّةِ النَّاس » .

فهرس الكتاب

الموضوع		الصفحة
المقدمة	. . . . .	٣
القصة الأولى	: النظام سبب النجاح	٥
القصة الثانية	: العدل	٢٥
القصة الثالثة	: الفتى الشجاعُ	٢٧
القصة الرابعة	: الثعبانُ والأخوَان	٣٠
القصة الخامسة	: ابن ربيعةَ والسبعُ	٣٢
القصة السادسة	: كيف نجا الجنديّ من الموت ؟ . .	٣٦
القصة السابعة	: فى الكرم العربى	٤٠
القصة الثامنة	: الرجل الخائن	٤٣
القصة التاسعة	: فصاحة غلام عربى	٤٥

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٧٧٥
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ٤٦٨ – ٩

١/٧٨/٢١٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)